BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

مسئوليتنا تجاه الحوار مع الآخر

جابر عصفور:

هناك شخصيات عندما يقدمها الإنسان يشعر بالحب والاحترام، وأنا شخصيا نادرًا ما أحببت أحدًا واحترمته مثل الدكتور أحمد كمال أبو المجد. أنا أختلف معه فكريا في قضايا كثيرة، ومع ذلك نادرًا ما أجمع بين حب أحد واحترامه، مثلما أفعل مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد، فهو عندما يتحدث في أمور الدين يتكشف عن مسلم يفخر الإنسان أن يكون في الإسلام مثله، حيث العقلانية الإسلامية تبلورت في أفكاره ممزوجة بأرقى ما تعلمه من الغرب. وعلى كثرة قراءاتي في الاعتزال والفلاسفة فعندما أجلس مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد وأتناقش معه وأستمع إليه وكثيرا ما أشاكسه أشعر أنني إزاء معتزلي معاصر، وينطبق عليه ما قاله الجاحظ قديما "لا يكون المتكلم متكلما عارفًا بقواعد الكلام إلا إذا كان ما يحسنه من كلام الفلسفة في وزن ما يحسنه من كلام الدين"، وأظن أن هذه الكلمة تنطبق علي الدكتور أحمد كمال أبو المجد بأكثر من معنى، فهو يعرف في تفقهه بأمور الدين وتراثه في وزن ما يعرفه في أمور العصر وقد امتزج الجانبان في شخص واحد، ولذلك فنحن أمام مسلم معاصر يعتز به الإسلام بل يعتز به الفكر الإنساني كله.

ولا عجب والأمر كذلك أن يسهم الدكتور أحمد كمال أبو المجد في الكتابة في الكتب الأساسية التي صدرت عن اليونسكو والأمم المتحدة، وأنا شخصيا آخر ما قرأت في هذا الجانب كتاب Crossing the Deviate الذي أصدرته الأمم المتحدة، وقد سعدت عندما قرأت اسم الدكتور أحمد كمال أبو المجد ضمن لجنة العقلاء التي اختارها أمين عام الأمم المتحدة ليصوغ نوعا من التفكير يخرج بالإنسانية من تحيراتها ومن صراعاتها. وكنت أمارس بعض هواياتي المفضلة وأنا أقرأ الكتاب الذي لم يترجم بعد للعربية للأسف، فكنت

أستـــنـــتج الفقرات التي هي للدكتور أحمد كمال أبو المجد من بين مفكري أوروبا وآسيا والعالم المسيحي والإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، ولهذا فنحن نفخر ونعتز اليوم بأن نلتقي بالدكتور أحمد كمال أبو المجد الذي إذا أردنا أن نتفهم أحوال الدنيا المعاصرة من وجهة نظر إسلامية عقلانية متحضرة، فيمكن أن نعرفها منه فهو قادر على ذلك لأنه كما قلت لكم ممثل الاعتزال الإسلامي المعاصر، وفي تفكيره الدواء لكل أشكال التطرف التي أساءت للإسلام، والتي اختزلت الإسلام مرة في لحية ونقاب ومرة في قنبلة ومدفع، ونحن لهذا السبب نرحب بالدكتور أحمد كمال أبو المجد ونسعد بلقائه وسنشاركه في هذا اللقاء بعض همومنا.

عنوان المحاضرة هو "مسئوليتنا تجاه الحوار مع الآخر" والآخر في النظرية الثقافية يفهم بثلاثة معان على الأقل، يُفهم أولا بالمعنى النفسي والآخر عندما ينقسم الإنسان إلى ذات ناظرة وذات منظور فيها والذات المنظور فيها هي الآخر عندما يكون داخلنا، وهي الذات التي تحدث عنها الوجوديون سواء في الجناح المسيحي للوجودية أو الجناح الإلحادي للوجودية وهناك مبحث كبير في هذا الموضوع فالـــautre بالفرنسية أو الآخر هو موضوع مهم جدا في الفلسفة الوجودية . والمعنى الثاني للآخر هو المختلف في الأمة الواحدة سواء كان هذا المختلف بالمعنى الديني كأن يكون الآخر لي أنا المسلم أو المسيحي أو اليهودي داخل الوطن الواحد، أو يكون بالمعنى العشائري فيما يتصل بالطائفة السنية مقابل الشيعية أو حتى بالمعنى القبلي أو بمعانٍ أخرى كلها تنحصر في الآخر الاجتماعي داخل الوطن الواحد، وهناك الآخر الذي هو ليس من الجنس نفسه، ولا من اللغة نفسها وهو المعنى الغالب في الكتابات المعاصرة، فنحن عندما نتحدث عن الآخر الآن وفي حالات كثيرة فإنما نعني الآخر الذي يقع على الضفة الأخرى من البحر المتوسط إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأيا كان المعنى الذي سوف يختاره الدكتور أحمد كمال أبو المجد فكل معنى مختار هو معنى مهم.

ولدي هنا ورقة بالوظائف التي تقلدها الدكتور أحمد كمال أبو المجد والمناصب التي شغلها ولا أظن أن رجلا مثله يُعرَّف بأنه كان وزيرًا أو كان عميدًا لكلية أو كان مستشارًا أو رئيسًا لمحكمة دولية، فالأهم من ذلك كله هو العقل الإسلامي النيـــِّر المعاصر الذي نفخر به ونحبه ونحترمه، وبعض حبنا واحترامنا له لأنه يقبل الاختلاف بسماحة رائعة ونادرة في هذا الزمان.

أحمد كمال أبو المجد:

أحب قبل أن أبدأ حديثي عن الحوار مع الآخر أن أقول كلمات قليلة تعقيبا على الكلمات التي تفضل بها الدكتور جابر عصفور، فأنا قد عرفت الدكتور جابر عصفور من باب الخصومة الفكرية، ولكن الخصومة الفكرية عندي ليست معركة وإنما هي التقاء ومواجهة أفكار، وأنا لا أقسم الناس على حسب الفكر الذي تبنوه وإنما على

أساس المنهج وخلق الفكر وخلق العقل، ولذلك تأبيت طوال الوقت على كل تحريض لي لأن أدخل في خصومة ينـــتزع منها الحب والاحترام في علاقتي بالدكتور جابر عصفور، وقد لا يعلم أنني أيضا أحسن ما يحسنه من قراءة ما بين السطور فهو عرف أو تعرف على جزء مما كتبته في هذا التقرير الصادر عن الأمم المتحدة الذي أعتز به فعلا وتعلمت منه لأننا ظللنا نحن أعضاء اللجنة نعمل عاما كاملا وكنا عقولا مختلفة وثقافات مختلفة.

وأنا أيضا أقرأ كتاباته وأقرأ بيـــن سطورها الهموم الحقيقية التي يعيشها فكره والتي يضطر أحيانا إلى التعبير عنها كالهمس، ولكنه يـــدوي عند أمثالي صيحة كبـــيرة، وقد لا يعرف أيضا إنني درست الفلسفة دراسة خاصة ابتداء من الفكر اليوناني قبل سقراط إلى الفكر الحديث، وإنني أعتبر أن الفلسفة استخدامٌ مشروع لنعمة من نعم الله علينا أوجب علينا استخدامها وهي نعمة العقل، ولذلك فإن فكرة أن العقل مناقض للنقل لم تلق عندي قبولا عقليا أو قلبيا، ولولا أنني لا أحب استفزاز الناس لقلت إنني ممن يؤمنون بقول الشاعر الصوفي الذي قال " لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان" إلى آخر الأبيات التي قال فيها "أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني"، ووجدت هذا جوهر الرسائل السماوية كلها وشغلت حياتي بالبحث عن المشترك، وليس بالبحث عن أسباب للخلاف إن لم نجدها في حاضرنا لوينا أعناقنا بحثا عنها في ماضينا، وأنفقنا العمر كله في هذه المعارك منصرفين عما ينفعنا وينفع الناس .

فقضية العقل قضية محورية، وأنا لازلت أزعم أن إخفاق الأمة العربية والإسلامية في أن تفعل شيئا ذا بال في عالم يتسابق فيه الناس يرجع إلى أنها أصيبت بآفة صورت لها أن إلغاء العقل مغنم، وأن الاعتماد على النقل بغير العقل يوصل إلى الطريق المستقيم، مع أن النقل بغير العقل لا يمكن أن يفهم، وأنا أذكر كلمة تُنسب إلى معاوية بن سفيان في أمر الدين يقول فيها: "مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعرفون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا فداخلتهم روعة وهم لا يدرون ما في الكتاب (وذلك لأنه أتى من الملك)، ويكمل قائلا :"فمن يقرأ القرآن ويعرف تفسيره كمثل رجل جاءهم بمصباح فعرفوا ما في الكتاب".

إذن، للكتاب قدسيته في محتواه، وليس في مصدره فحسب، ولذلك يقول القرآن الكريم: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"، إذن فقد جاء هذا القرآن ليعرفه وينتفع به ذوو العقول أما المعطِّلة الذين يعطلون العقول فلا يقلون سوءا عن الذين يعطلون النقول، وأنا أصف المسألة ببساطة شديدة، ومن أراد أن يعيش بسلام مع الدنيا فليبدأ بالسلام مع نفسه، أولا بأن يحسم القضايا الصعبة المعلَّقة، وأنا من جانبي لم أواجه مشكلة العقل والنقل أبدا لإحساسي بأن النقل للنصوص الدينية كلها معاونة من صاحب العقل، وأن النقل رحمة لنا من واجب العقل، وأن العقل نعمة منه علينا ويستحيل أن تتعارض رحمة الله مع نعمته. ولذلك فإن قضية التوفيق لازمة وضرورية لأن

الافتراق والاختلاف إنما يكونان في عقل الإنسان لا في عالم الحقيقة، وأنا عادة في مثل هذه المحاضرات لا أكتب نصا، وإنما أقرأ قبل المحاضرة بفترة في مجالات شتي كما تعلمت في الجامعة، إذ كنا نحضر قبل المحاضرة ما يكفي لعشر محاضرات، وكما لا يخفى على المشتغلين في المحاماة كنت قبل أن أذهب إلى المرافعة في المحكمة أكتب ما يسمى "هيكل المرافعة" وهو ما يسمونه بالإنجليزية (Security Blanket) ، وهو ما يشعرك بالأمان أي أنه شيء لا تلتزم به إنما إذا احتجت إليه يشعرك بالأمان ولكنك لا تلتزم به، ثم تنطلق في المرافعة.

وقد فكرت في الموضوع من الناحية الوجودية كما فعلنا في الوثيقة التي أشرت إليها حيث طرحنا معا وكنا ممثلين لثقافات مختلفة فكرة العدو. هل هذه فكرة أساسية؟ أم أنها فكرة مفتعلة؟ ومن صاحبها؟ وما حدودها؟ وما وظيفتها؟ وأيضا فكرة حاجة الإنسان إلى الغير، وللغير تعريف في مصطلح القانون عندنا، وإنما فكرة الآخر ظهرت بمعنى أن كل من عدا الذات الفردية فهو من الغير، ويمكن أن يعم اللفظ ويكون أيضا للذات الجماعية وذلك في المشترك الثقافي بينما الإنسان لا يعرف ذاته إلا من خلال شيء خارج عنها، وفيه يقول الله تعالى " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغني الحميد". الوجود المطلق لا يحتاج إلى غيره، ومع ذلك وفي هذا السياق فإن الصوفية ابتكروا حديثا أو وضعوا حديثا سنده ضعيف ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى يقول " كنت كنـــزا مخفيا فأحببت أن أُعرَّف فخلقتُ الخلقَ فبـــي عرفوني".

ذلك إسقاط إنساني على ظاهرة الألوهية يدل على أن الإنسان حتى يعرف ذاته عليه أن يعرفها من خلال إسقاطها على الغير، وهذه هي فكرة المرآة، وكما ورد في الحديث "المؤمن مرآة أخيه" لأنك لا ترى نفسك إلا بالانعكاس على موضوع أو على ذات أخرى وعلى المستوى الأدنى جدا الحاجة إلى الغير حاجة إنسانية، والإنسان مدني بطبعه، فمثلا إذا سألت أحد المساجين في العالم الثالث أو في أي عالم آخر هل تفضل أن تُسجن في زنزانة فردية أم مع باقي المساجين على اختلاف تهمهم ؟ فإنه يفضل أن يوضع مع باقي المساجين مهما حدث له من إهانات مع المجموعة، وذلك دليل على أن حبس الذات شيء رهيب وهو أقسى صور العقوبة، لذلك هناك حاجة للآخر أو إلى الغير. ولكي أنتقل من التأملات الوجودية إلى سر اختيار هذه المحاضرة أتصور أنه في هذه الظروف الصعبة جدا والتي تحيط بنا فيها أخطار تملأ عقولنا ونفوسنا إحباطا وهموما وحيرة وعدم قدرة على التصور والتخيل لما يحمله الغد، وذلك بسبب أن هناك ظاهرتين معاصرتين هما اللتان فيما أتصور دفعتني دفعا طبيعيا ومنطقيا لاختيار هذا الموضوع، أننا نحس أننا مصريون وعرب وأنا أتحدث عن الناس لا عن الإسلام وحده، وفي عام الفيل قال أبو طالب " للبيت رب يحميه وإنما أنا رب هذه الإبل"، والمشكلة هي مشكلة الناس في النهاية. وأعود إلى الآية الكريمة "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد" وإلى الحديث النبوي الشريف "إنما هي أعمالكم ترد إليكم". ولو صلح الناس جميعا ما زاد ذلك في ملك الله شيئا، ولو فسدوا لم تفسد الدنيا، ولكن الأزمة تتمثل في عدم الرضا

عن أوضاعنا الداخلية مصريًّا وعربيًّا وإسلاميًّا، ومن ثم هناك مشكلة تحتاج إلى علاج بيننا، كما تتمثل في أزمة أخرى في علاقتنا مع العالم، فلا نحن نحسن فهمه ولا هو يحسن فهمنا، ومن خلال سوء الفهم المتبادل أصبح التعاون صعبا وأصبحت فكرة الخصومة وفكرة العدو سهلة الدخول إلى العقول والنفوس على جانبي العلاقة وعندها حاولت في هذا الأفق العملي أن أقول من هو الآخر في هذا الوقت المعاصر.

الآخر هو كل طرف في قضية نحن طرف فيها، فهو داخليا كل فرد وكل صاحب رأي له دور أو مصلحة مغايرة قليلا أو كثيرا، وهو خارجيا كل دولة أو جماعة أو تيار سياسي أو ثقافي يقع خارج حدودنا الخارجية التاريخية والجغرافية والثقافية، فالأمريكي آخر جغرافيا و الإيراني آخر جغرافيا مع العلم أنه يمكن أن يتفق معنا في الأساسيات الدينية، واللبناني المسيحي آخر لكنه يقع في دولة أخرى وإن كان المشترك بيننا وبينه كبـــير جدا.

وهكذا، فإن مواجهة هذه الأمور تحتاج إلى فهم دقيق لمظاهر الأزمة في هذين المحيطين أو في هاتين الساحتين، الساحة الداخلية والساحة الخارجية، نحن داخليا لدينا مجموعة من المشاكل تجمعت فمثلت أزمة، وصارت العلاقة مع الخارج أو مع الآخر إحدى مشاكلنا فنحن من بين ثقافات كثيرة عندنا غياب للاتفاق الواسع حول عدد من القضايا الأساسية.

ولذلك عندما ننظر في أدبيات الدين والسياسة والثقافة والاجتماع والاقتصاد ستجد مجموعة من القضايا الكبرى معلقة ومترددة والكلام فيها لم ينقطع منذ ثلاثمائة عام أو أكثر حسب كل قضية ، فنحن لا نحلها فنستريح ولا نعرض عنها فنريح إنما فعلنا بها ما كان يفعل العرب في الجاهلية، يعلقون قصائدهم في أستار الكعبة ويجلسون أمامها ليختلفوا حولها، فنحن معلقين على حياتنا الثقافية أكثر من مشكلة إثارة الحديث عنها إدمان وعادة لا يصاحبها تقدم ملحوظ. ومن هذه القضايا على سبيل المثال قضية الهوية من نحن في مصر؟ هل نحن مصريون فراعنة أم نحن عرب جاءوا مع الهجرات أم ننتمي للعروبة والمسلم مسلم والمسيحي مسيحي وكلّ في طريق؟ فقضية الهوية معلقة و لم يحسم أحد الحلول فيها، وهل لا يمكن أن تتعدد الهويات كي أكون مصريًّا مسيحيًّا أو مسلمًا؟ ولقد قالت لي ابنتي وهي الآن تعيش في أمريكا، هل يا والدي أستطيع أن أعيش في إيران وهذا أثناء قيام الثورة في إيران وكذلك هل أستطيع أن أعيش في أمريكا ولكنني لا أدري هل أستطيع أن أعيش في مصر أم لا لأنني لا أرى أي اتفاق حول أي من القضايا! وأنا شخصيا واجهت هذا وذلك لعدم وضوح القيم، عندما تخرجت من الكلية وكنت معيدًا صغيرًا كنا نخرج رحلات مع الطلاب إلى غزة وأماكن أخرى وكان يوجد معنا طالبات وكنا لا نعلم ما هو السلوك الذي يرضى عنه المجتمع، وكان وجود الطالبات في ذلك الوقت معناه التعامل برقة وذوق وأدب، فكان الشباب يتعامل بكل حرص خوفا أن يجرح مشاعر الطالبات بكلمة أو حركة خارجة، لقد كانت الحياة غاية في الرومانسية والدليل على ذلك أن تزوج ثلاثة أو أربعة من الزملاء بالزميلات وذلك بسبب التعامل بالاحترام المتبادل بين الزملاء

والزميلات. أما في وقتنا الحاضر يؤسفني وجود ظاهرتين مفزعتين لأن الطلبة هذه الأيام تقول ألفاظا غاية في الوضاعة أمام الطالبات ولا ترى أي خجل لدى الطالبات، وحتى نوعية المداعبة أصبح بمد الأيدي فمثلا شاب يضرب فتاة وذلك على أيامنا يعتبر جناية والكلمة غير اللائقة كانت جنحة.

ففي كل قضية سوف تجد أنه ليس هناك استقرار معلوم سلفًا لعديد من القيم الأساسية وبالتالي التوافق الاجتماعي يعتبر أمرا صعبا. والقضية الثانية هي دور الدين في المجتمع، وهناك ناسٌ هجروا الدين هجرًا بيـــِّنا، وغيرهم لا يتصورون أي قضية إلا من الناحية الدينية ولو سألت أحدا ما هو البحر يقولون "هو الطهور ماؤه الحل ميتته" ، فبدلا من أن يقول أن البحر تجري به السفن وبه حياة كثيرة ما بين سمك وأحياء مائية لا حصر لها وأن ذلك الماء سوف يكون عليه معارك في السنين القادمة ويذكر كلام الله : "وجعلنا من الماء كل شيء حي"، فإنه يسكت عن كل ذلك ويقول عن البحر "هو الطهور ماؤه الحل ميتته".

فلماذا ينظر للقضية من البعد التكليفي مع العلم أنه في سياقات حيوية كبرى له قيمة مختلفة وأولوية خاصة، ولكنه يترك القضايا الحقيقة من نعم الله وأبعاد أخرى لكل مسألة لا يتصور السكوت عنها. ولذلك فإن دور الدين في المجتمع قضية لم تحسم بعد وفيها حروب أهلية كثيرة وفي هذه الحروب الأهلية في عالمنا العربي ليست هناك آداب متفق عليها للحوار ولذلك لا يسمى حوارًا فهناك فرق كبير بين الحوار والمبارزة، الحوار تبادل للرأي حول كل قضية وتكون هذه القضية هي السيد والمتحاورون خدامًا لها، أما المبارزة فهي ذبح قضية ويتسابق الطرفان على أيهم يذبحها ويكون السيد فيها هما الطرفان أما المجني عليه فتكون القضية. وفي هذه الحالة يخرج أحد الطرفين فائزًا على حساب القضية والطرف الآخر. ولذلك فإن الحوار بنَّاء بينما المبارزة قتل وفناء، وهناك فرق بين الكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة لأننا في الحوار نستحي أن نتهم الخصم بشيء ليس فيه لأننا إذا استخدمنا لفظًا جارحًا سوف يترك الخصم الحوار مخافة أن يتطور الأمر إلى اتهامه في دينه أو وطنيته أو عرضه أو عقله وكل ذلك يكون عبارة عن حرب مفتوحة لا تتقيد باتفاقات ولا قيم وإنما يجوز فيها كل شيء.

والقضية الأخرى هي المخاوف الأمنية من ممارسة الحرية وهذه إحدى مشاكل حوارنا الداخلي وهناك تصور أن الحرية إذا امتدت ذراعا فقد ضاع الأمن باعا وهذه معادلة غير صحيحة وهذه النظرة تحتاج إلى وقفة. ولديك قضية أخرى في علاقتنا بالآخر مؤداها أن هناك تفاوتًا هائلاً بين المعارف المتاحة لكل من الطرفين. النظام التعليمي عندنا لم يقدم هذه القضية كثيرا لأننا نرى بعض المثقفين يدلون في حوارات صحفية أو تليفزيونية بأقوال وأحكام لا يؤيدها الدليل فهم يحكمون على أشياء لم يعرفوها أو يعايشوها. ومن القضايا المعلقة أيضا قضية المرأة فلا يزال لدينا من يقول أن المرأة بأكملها عورة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذه صفية وهذه

فاطمة، وهذا دليل على أن المرأة لها أسماء ولها ثقافات ولها وجود إنساني مكتمل فإن المرأة متساوية مع الرجل في مجالات شتى ولكن هناك عقول لا تؤمن بهذا.

وأيضا لدينا قضايا اقتصادية كبرى لم يُحسم أمرها في الفكر الجمعي ولا في الثقافة العامة، وهناك تردد هائل بين الحرية الاقتصادية ونظام الشمولية، مستقبل العلاقات العربية والإسلامية والمنظمات الممثلة لها مثل جامعة الدول العربية فلا يوجد تقدم يُذكر في هذه القضايا منذ ٤٥ عامًا.

ونأتي إلى تجربة الآخر لكي يكون التعلم منها مستمدا من التجربة الذاتية، فللحوار آداب و أصول ونحن تخلينا عنها جملة وتفصيلا وذلك من باب سوء الخلق لأننا تركنا تراثنا لأن التراث فيه كلمات غاية في الأهمية. والحوار ينقسم إلى قسمين: آداب أخلاقية وضوابط موضوعية وذلك كله بُغية أن يستقيم الحوار، وهناك أمثلة لذلك في تراثنا مثلا (الاختلاف لا يفسد للود قضية) وذلك المثل قديم جدا ولكننا نجهل أن الود لا يفسد البحث في القضية ونظل نجامل بعضنا بالكلمات مع بقاء الخلاف عميقا بين أطرافه والمطلوب قاعدتان متكاملتان وهما عفة القلم واللسان واحترام جميع أطراف التحاور وبمواجهة موضوعية، ولدينا أمثلة فمثلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختلف في قضايا كبرى وذلك عندما فتحت العراق وكان رأيه عدم توزيع الأراضي وكان رأي الصحابة مثل عثمان بن عفان وبلال أن توزع الأرض وجرى بينهم جميعا حوار مكتمل من الأدب والاحترام وعدم النظر إلى الذات أو المصالح الشخصية وانتهى لخدمة القضية الكبرى. وبعد الحوار أجمع الرأي على ألا توزع تلك الأراضي على الناس ... ويكفي أن نعلم أن الحوار موجود منذ زمن بعيد وبين عمالقة كان لكل منهم مكانته. ولدينا حوار آخر بين الإمام مالك والإمام الليث ابن سعد فلقد قرأت عن ذلك الحوار وأعجبني عدم ضيق الصدر والمصارحة في الرسائل المتبادلة بين المدينة المنورة ومصرنا الغالية فإن الرسائل كانت هي لغة الحوار في ذلك الوقت حول أي قضية.

ولكننا اليوم في حروب أهلية فهذا علماني وذلك إسلامي وما الفرق بينهما، ومن المؤسف أننا بلغنا درجة من النضج في التعامل مع الآخر غير العربي وغير المسلم فنقول نبحث عن المشترك إن كان المشترك شيئا أو اثنين لتبرير التعاون، بينما في حوارنا الداخلي نحن قساة القلوب ضيقو الصدور، فالمثقفون بينهم حروب أهلية (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) فقلَّ تأثيرهم على قضايا الرأي العام والحكام، ونحن نعلم أن الجامعة مسئولة، والمؤتمرات التي تعقد مثل مؤتمر الإصلاح الذي عُقد بمكتبة الإسكندرية أرجو أن يؤخذ مأخذ الجد ويعتز بقراراته ونحاول تطبيقها لأن هذا المؤتمر عربي مشترك وخرج نتيجة لمشاكل كبرى أحست بها قوى عربية تريد الإصلاح فنرجو أن تتم متابعة هذا المؤتمر كي يسهم في حل بعض القضايا العربية، مثل قضية المرأة العربية وقضية حقوق الإنسان. إن وثيقة الإسكندرية الصادرة عن مؤتمر الإصلاح أشارت إلى هذه القضايا بما يمكننا من السير في طريق الإصلاح الداخلي التي توافقت مع

جميع القوى الوطنية في مصر وفي العالم العربي. ولكن بالنسبة للآخر الخارجي فإن القضية أشد تعقيدا والحديث عنها يتطلب الإشارة إلى العولمة وسقوط الحواجز. وأنني أرى أننا في عصور الهزيمة نغتال اللغة في مضمونها ونحن نعرف هذا لأن اللغة العربية استشهدت أو كادت تستشهد. فنحن نعلم أن القضايا ليست وطنية فقط ولكن هناك قضايا انفصال الجيل عن التراث بأكمله لأنه من لا يتأثر بالدين أو الشعر أو التاريخ فماله من ماض أو عروبة وكيف يكون هناك صلة بالذات المجاورة في العلاقات العربية مع أن القاسم المشترك معطل. فالعولمة في معناها الموضوعي تتحدث عن أمور حدثت وصارت من معطيات الواقع. أن الثورة العلمية المتعاقبة الحلقات في مجال انتقال الأبدان، ثم في مجال الاتصال أي الأفكار والثقافات والصور والألوان قد قربت الحواجز وأزالت الحجب وأصبح الناس يواجهون بعضهم بغير وسيط لأول مرة. إن التعامل مع هذه الظاهرة في المجال الاقتصادي سهل جدا، بأن ألغي الجمارك وأفتح الأسواق وأفتح المناطق الحرة وأضيف دعمًا أو لا أضيف إن كل ذلك ميسورا.

ولكننا بالنسبة للثقافة التي هي جذورنا فإن المسألة تحتاج إلى وقت فعلا لأننا لا نستطيع أن نجمع ثلاث ثقافات مختلفة ونريد منها التعامل مع بعضها في يوم وليلة، إن الموضوع يحتاج إلى وقت.

وقد أدركت ذلك بنفسي منذ خمسة وعشرين عاما من خلال ممارسة الحوار، فلقد كنا مجتمعين في الخارج ممثلين لمختلف الثقافات والجنسيات والديانات، واقترحنا أن يعرض كل منا رؤيته لذاته ثم يعرض رؤيته للآخر. والعائق الكبير أن يتصور الإنسان نفسه مكان شخص آخر ، وذلك يعني انخلاعه مؤقتًا عن ذاته ... إن هذا التصور عولمة ولكننا كنا نريد أن يحدث اندماج بين الثقافات ولقد شاهدت ذلك كثيرا من صور هذا الاندماج في البنك الدولي وقد كنت في ذلك الحين قاضيا فيه وأتعامل مع جميع القضايا التي يكمن وراءها اختلاف الثقافات. كذلك، تعرضت لتجربة مشابهة وأنا أمارس الحوار مع الآخر الثقافي داخل أكاديمية المملكة المغربية. وسمعت كلاما قويا عن دخول الدول الصغيرة غير الصناعية في الاقتصاد القومي العالمي وهذا يعني اندماجا يتمحص نفعا خالصًا لها.

وقد كنت في اجتماع مع الإخوة المغاربة وأشاروا إلى تقرير البنك الدولي فقلت أن هذا الكلام غير صحيح وأظهرت لهم التقرير .وعلى كل حال فإن الحوار مع الآخر يتطلب بعض الشروط الرئيسية وهي:

أولا/ الاعتراف الحقيقي بوجود الآخر كذلك أن هناك من لا يعترفون بوجود الآخر وإن أظهروا غير ذلك وصوروه لأنفسهم.

ثانيا/ الإيمان بالتعددية الفكرية فهي ليست قصرا على أحدا أو مجموعة، والدليل على ذلك قول الحق (ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم) وهناك أخطار أخرى كثيرة مثل خطر الهيمنة وخطر الاحتكار وخطر الاستعباد والتهميش السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

نحن نريد حوارًا حقيقيًّا يناقش كل الأخطار وأن يكون الحوار متحررًا من السلطة ومن بغض المتحاورين من ورائه بعضهم لبعض، فنحن نريد أن يكون حوارًا هادفًا ويريد المتحاورون الوصول إلى حل للقضية التي يتحاورون فيها بصرف النظر عن أي خلاف في وجهات النظر، إن المطلوب من المثقفين اليوم الحوار الجاد جدا فنحن اليوم نواجه تغيرات جديدة في بنية النظام الدولي كما نواجه سنويا بالاستعلاء والتفوق لدى كثير من أبناء الحضارة الغربية صاحبه أخيرا خوف وهلع وسوء ظن بكل ما هو عربي وإسلامي وهو ما يُفضي إلى ظلم شديد للعرب والمسلمين. ويجب على وزارات الخارجية والأوقاف والثقافة والإعلام فعل شيء جاد وفعال تجاه هذه القضية وأن تختار المتحاورين على مستوى ثقافات الآخر الذي يتحاورون معه كي يكون الحوار مفهومًا ويأتي بنتيجة لأن غير ذلك يؤدي إلى نتائج عكسية، وكيفية علاج هذه القضايا يحتاج إلى عدة نقاط منها إدارة حوارات واسعة والترويج لمسألة التوافق والبحث عن المشترك وذلك لأن النصر والهزيمة كل منهما له ثقافة وفكر، وعصور النصر لها فكر متسع في فهم الآخر، أما عصور الهزيمة، فإنها تجعل الناس يهابون أي شيء وأي صرخة يحسبونها على الآخر ويضيقون منها. ولذلك يجب علينا إقامة علاقات مع الآخر فهو إما أخ لنا في الدين والثقافة أو نظير لنا في الخلق هو نقيض أساسيات الثقافة ويقول القرآن الكريم "وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"، ومعنى هذا أن الدين الإسلامي فيه سماحة كبرى وأعطى قيمة كبرى للحوار مع الآخر، والمثال الثاني هو المرأة ويقول الحديث الشريف (إنما النساء شقائق الرجال) ونحن نعلم أن المرأة في سالف الزمان كانت تقوم بمعظم الأعمال، فمثلا حاربت مع المسلمين وقبل منها الرسول النصح في إحدى الغزوات وأدارت المتاجر وعملت في الطب والمحاماة وجميع المجالات، ولكننا في عصرنا هذا مازال منَّا من يقول المرأة لا تخرج ولا تأكل مع الرجال وأين ذلك من الإسلام حيث يقول "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات" إن تكريم القرآن الكريم لم يقتصر على المسلمين وذلك لقوله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا".

وهناك ظاهرة جديدة وهي ظاهرة التدين الذي يقوم على مفاصلة المجتمعات واعتزال الناس وذلك خطأ وخطيئة فمكان الإنسان الصحيح لا يكون إلا بين الناس لقوله تعالى "قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس" إن الناس حقيقة، أما الذي ننكره ونتوجس منه شرا فهو التدين الانسحابي الانقطاعي الاكتئابي، ولكن الذي يبني الحضارة هو الإنسان الذي يقضي وقته سلسا مسرورا، وعندما سألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق

الرسول الكريم قالت "كان هينا لينا بساما وكان أرق الناس" ولذلك "عندما دخل المدينة أضاء كل شيء – كما يقول بلال رضي الله عنه – وعندما لحق بالرفيق الأعلى أظلم كل شيء" وذلك دليل على حب الناس للرسول عليه الصلاة والسلام، فأين نحن من خلق الرسول الكريم الذي أوجب القرآن علينا الاقتداء به؟ ولقد أتتني في يوم من الأيام السكرتيرة وأخبرتني أنها تريد أن تتـــحجَّب، فقلت لها هذه حرية شخصية، ولكن يجب عليكِ ألا يتغير أسلوبكِ في المعاملة مع الآخرين وعدم الانطواء على نفسكِ، فإن الرسول الكريم نزل في حقه قرآن يقول "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، وكان الرسول الكريم إذا أراد النهي عن شيء يصعد إلى المنبر ويقول "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا" ولا يذكر أحدا باسمه مع العلم أنه يعلم من فعل هذه الخطيئة، وهذا هو التدين الإيجابي الخلاق. فعلى الدعاة وعامة الناس من المتدينين أن يذكروا هذا وألا يشغلهم النظر في عيوب الناس عن النظر الواجب في عيوبهم هم.

ولن أطيل عليكم أكثر من ذلك وإنما أنهي حديثي مذكرا بأن هناك خطرين، الخطر الأول هو الهيمنة للقوى العظمى الوحيدة والاستيطان والاتساع من جانب الصهيونية المتمركزة في إسرائيل التي تتمتع بمظلة لا نرى أولها من آخرها. والخطر الثاني أن الروح العلمية غائبة، وأن العشوائية لم تعد عشوائية إسكان وإنما صارت عشوائية عقول، ونحن نحتاج إلى عمل سريع لإيقاظ الهمة فإن تلك الهمة هي التي توقظ روح العلم والمعرفة، وهي التي تحرك إلى العمل وإيقاظ الهمة يحتاج إلى قدوة ودور للمثقفين في إنهاء حالة الإحباط ونحن لا نملك اليوم الانعزال عن العالم. فلندرك أن الخطر كبـــير وأن مشكلة الدين هي المشكلة الكبرى. نحن على صواب ونحن لدينا رسالة سماوية من أهم الرسالات ولدينا عقول مفكرة ولكن انطواء هذه العقول هو التدين الانسحابي وهو آذان بقدوم أخطار نرى أولها ولا نكاد نعرف آخرها.

جابر عصفور:

إخواني الأعزاء حتى لا نجهد الدكتور أحمد كمال أبو المجد أكثر من ذلك سوف نختصر الأسئلة التي توجه إليه. وإن كان لي تعقيب على كلام الدكتور أبو المجد، فهو ذكر أنه منذ البداية كان يجلس مع كبار العلماء في صالون والده وهو في السادسة من عمره ...وأنا أذكر أنه في عام من الأعوام تجمع مجموعة من المتعصبين في الحوار على التنديد برواية ألف ليلة وليلة وطالبوا بمنع تداولها لما فيها من قبيح الكلام والفعل ... وسألني الطلاب في ذلك .فأحضرت لهم الطبعة الأولى من الرواية وفيها توقيعات كبار العلماء الذين قاموا بتصحيحها ومنهم الشيخ عبد الرحمن الصفتي من كبار علماء الأزهر وكان متسامحًا جدا حتى بعد الهجوم عليه شخصيا، ولكن المشكلة كما ذكرها الدكتور أحمد كمال أبو المجد أن أغلب الذين يتحدثون عن الإسلام في ذلك الزمان لا يعرفون سماحة الإسلام

ولا عظمة التراث القديم ولو أنهم عرفوه على حقيقته لما تكلموا وتطرفوا كما نرى في هذه الأيام، وسنختار الآن بعض الأسئلة حسب ترتيب الوصول ونعتذر للباقين.

سؤال من الأستاذ السيد ياسين وآخرون يقول:

نحن نحتاج إلى برنامج وطني، وكيف لنا من ذلك مع الهيمنة العالمية الغاشمة ؟

أحمد كمال أبو المجد:

المسألة في غاية البساطة فلا يوجد أمه تعتز بنفسها لا تحسن أن يتجهم وجهها أحيانا، ولا قوة كبرى تعلو على أن يتجهم وجهك في وجهها .. فإن الثقافة الأمريكية لا تحترم الضعيف فقط ولكنها تكرهه .. وتحب القوي ولو كان ظالما، فمثلا في عام ١٩٦٧ عندما استخدم اليهود قنابل ممنوعة دوليا، كنت مستشارًا ثقافيًّا لمصر في الولايات المتحدة في ذلك الوقت، وكان معي الدكتور إبراهيم شحاتة رحمة الله عليه، فكتبنا منشورا باللغة الإنجليزية وطبعنا منه عشرة آلاف نسخة وأرسلنا منها خمسة آلاف إلى أمريكا وخمسة آلاف إلى كندا، وفي كندا تأثروا جدا وقالوا إن اليهود مجرمون بفعلهم هذا، وفي أمريكا أرسلوا لنا وقالوا ما هذا التهريج إن الحرب حرب فمن أي شيء تشكون؟! ومن ثم فإن الوجود الثقافي الأمريكي قائم على العنف ويكره الضعيف، ونحن لسنا صفرا، نعم قد لا يكون لنا رقم كبـــير ولكن لنا رقم.

الآن، لا توجد تعددية بين الدول الكبرى، ونحن ننبه في كل مناسبة إلى أن الهيمنة خطر ولكن المقاومة يجب أن تكون قوية، فعلى سبيل المثال، إذا دخلنا مباراة كرة قدم مع دولة مثل البرازيل أو الأرجنتين وخفنا من الهزيمة فسوف نهزم بنتيجة كبـــيرة. ولكن إذا دربنا فريقنا جيدا، وقلنا سوف نلعب مباراة قوية، فمن الممكن أن نقلل الهزيمة أو نتعادل على أقل تقدير.

إن إشاعة الضعف الذاتي وعدم المقدرة على عمل أي شيء هو الضعف الحقيقي، بينما تحفيز حالة المقاومة وتجميع عناصر القوة يعطينا فرصة كبيرة ولو على المدى البعيد فليس المهم أن أكسب غدا أو بعد غد. يجب أن أتحمل كي أكسب ولو بعد عشر سنوات مثلا. ومعنى هذا السير في الطريق الصحيح ولكنا اليوم فقراء متعالين بمعنى أن يكون مثلا دخلي قليل وأريد سيارة وفيلا وأشياء كثيرة. وفي المقابل تم فتح مصنع بيبسي كولا في الهند وتم غلقه، وذلك لأن الشعب الهندي يشرب مشروبات محلية لأنه يريد التوفير، ولأنه لا ينساق وراء التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي نستجيب لها نحن العرب في سهولة واستسلام.

ونحن اليوم لا نستطيع أن نستغني عن الورد المستورد، فعلى حد علمي تم استيراد ورد من هولندا بمبلغ ٢٥٠ ألف جنيه وذلك من أجل حفل زفاف فقط، فنحن لا نستطيع الاستغناء عن أقل شيء – وماله الورد المصري – نحن نحتاج إلى ضبط المقاومة أو ما يسمونها المقاطعة، فلنبدأ بحوار وطني ونترع بؤر التوتر في المجتمع المصري والمجتمعات العربية والإسلامية، وهناك توتر بيـــن الحكام والمحكومين وتوتر بين فئـــات الشعب المختلفة وتوتر في العلاقات الدولية نستطيع على الأقل حله في بعض هذه الدوائر، ولكن أن نتصور أنه ليس هناك حل فهذه هي المشكلة، وليس من المهم أن يكون الحل فوريا، فنحن شعب صبور، المهم أن نسير في طريق الحل في جميع المجالات وسوف نصل للحل ولو بعد عام أو عامين مادمنا في الطريق الصحيح.

هدى مصطفى (صحفية في مجلة الجيل):

هل نحن العرب نفتقد شروط الحوار التي أشرت إليها وذلك سبب ما يحدث في العراق وفلسطين؟

أحمد كمال أبو المجد:

نعم سيدتي فالمسئولية على الحكام أولا والمثقفين ثانيا وباقي فئات الشعب بعد مسافة ثالثا ...

عبد المحسن كميل (أستاذ بكلية الزراعة – جامعة الإسكندرية):

لقد أبحرت بنا في بحر متلاطم الأمواج حتى وصلت بنا إلى بر الأمان هل نستطيع أن تكون هناك مشاورة في الأمر بالقاعدة العريضة بشأن مخاطبة الآخر أو نجد الخطاب الديني وما هو الفرق بين الخطاب الديني والخطاب الفلسفي ؟

أحمد كمال أبو المجد:

سيدي كل خطاباتنا السياسية والثقافية والإعلامية والدينية تحتاج إلى مراجعة لأن هناك قواسم مشتركة هي إغفال الحقيقة والدوران حولها، ومن أسوأ التعبـــيرات كلمة (الاحتواء) وظهرت عام ١٩٥٢ وأنا أكره هذا اللفظ جدا لأن معناه الضحك على الآخر وتسكينه بالقليل وعدم تنفيذ ما نتحدث عنه، ولذلك وجبت مصارحة الناس بالحقيقة لأن المصداقية تقلل من المفاجأة بين الحاكم والمحكوم، ولكن بعض الناصحين يقولون لو انفتحت الحرية إلى هذا الحد فسوف يحدث ما لا يحمد عقباه، مع العلم أن العكس هو الصحيح لازدياد الكبت والضغط لدى المحكوم فهناك فرق بين الأمن والتأمين، الأمن أن يستريح الناس، ولكن التأمين أن تحشد الأمن المركزي لدى المساجد والجامعات والكنائس وسائر المواقع والأماكن التي يجتمع فيها الناس وإذا حدثت ثغرة تقع الكارثة.

إن المواطن الخائف المضغوط يقضي عمره في أمرين لا ثالث لهم، أولهما نفاق كل صاحب سلطة وهو نفاق يوشك أن يكون مشروعًا لأنه يملك حياتك ومالك وأمنك، وبعد ذلك يقوم بتخريب المال العام أو السرقة أو أي نوع من المخالفات وذلك ليس حبا في المخالفات، ولكن كي ينفس عن غيظه من صاحب السلطة الذي أذله، وتسمع كلمة "هي بلد أبويا" ولي في ذلك قصة قبل أن أختم إجابتي ... فلقد خرجت مطرودا من باريس في ٤٨ ساعة، وذلك لأنني من وجهة نظر الفرنسيين خاطئ أو آثم، وذلك لأننا كنا نعمل اجتماعات بعد صلاة الجمعة في مسجد باريس وكنت أتحدث أسبوعا وكان معي زميل لبناني يتحدث الأسبوع التالي، فعندما جاءني أمر الطرد ذهبت إلى السفارة المصرية، وكان السفير في ذلك الوقت السيد محمود صالح الفلكي وهو رجل له مهابة وفيه أبوَّة، فدخلت إليه وكان اليوم ممطرا جدا، وبعد أن رأى أمر الترحيل، قال لي ماذا فعلت يا ابني؟ فقلت له ما فعلت بالضبط، فقال لي إنه يصدقني ولكن يجب أن يتحرى أولا وليس هناك وقت لأن الترحيل بعد ٤٨ ساعة فقط، فقال لي تعال إلي غدا الساعة الثانية عشرة ظهرًا فذهبت إليه في الميعاد فقال لقد تحريت الأمر ووجدتك صادقا، وأرسل معي أحد رجال السفارة من الدبلوماسيين إلى نائب المحافظ فقال له أنتم أمرتم بترحيل أحمد كمال أبو المجد خلال ٤٨ ساعة، ولقد تحرينا و لم نجد هناك ما يستدعي الطرد، ومع ذلك فليس لدينا مشكلة سوف نرسله إلى بلجيكا أو إلى لندن ولكن للعلم سوف نطرد مقابله عشرة فرنسيين ولن يكونوا طلابا مثله بل سيكونون من رجال الأعمال أو الأساتذة، ولا أخفي عليكم كمية السعادة التي شعرت بها، فهل أنا من وجهة نظر بلدي أساوي عشرة فرنسيين سوف تطردهم إذا طردتني فرنسا الكبرى؟ بعد ذلك إذا قيل لي اذهب قاتل من أجل بلدك هل أتردد أو أحتاج إلى ضابط شرطة يتـــنصت على اتصالاتي أو كلامي أو اجتماعاتي؟ فإن الأمن الحقيقي لا يكون إلا بالناس لأن ذلك المواطن الذي تم تقديره و احترامه من بلده إلى هذا الحد لا يتردد في دفع حياته كلها فداء لوطنه – فمثلا إذا سقطت طائرة بها ٢٥٠ راكبًا ومات منهم الكثير ترى وسائل الإعلام الإنجليزية مثل الإذاعة والتليفزيون لا تتكلم إلا عن جرح مواطن إنجليزي من بين ركاب الطائرة ولا يهتمون بالطائرة المنكوبة حتى لو مات جميع ركابها – فمثلا إذا تعاملت السلطات المصرية بكافة أنواعها بهذا المنطق ستجد أن لديك ٦٥ مليون مقاتل أمام أي عدوان عليك.

متحدث لم يذكر اسمه:

ما وجهة نظر سيادتكم في الهوجة الإعلامية على التفرقة بين المسلمين كسنة وشيعة ونحن لم نسمع هذه الهوجة وكمية الكتب واللقاءات التي تعرض الفرق بين السنة والشيعة وما الفرق بينهما؟

أحمد كمال أبو المجد:

هذا السؤال مهم جدا لأنني اعتقد أن كثيرا منا لا يعرفون الفرق بين السنة والشيعة بل إن منهم من يتوهم أن الشيعة هم الشيوعيون – وأنا كتبت في هذا الموضوع كثيرا لأنني كنت على علاقة جيدة بعلماء إيرانيين، ولقد كتب

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

شيخ الأزهر الأستاذ شلتوت أكثر من مرة تفسيرا للقرآن في الجريدة الصادرة عن مؤسسة دار التقريب، وهو عالم مصري منذ خمسين عاما، وفرق كبـــير بين علماء الجيل السابق وعلماء عصرنا هذا، فإن علماء الجيل السابق كانوا يصدعون بالحقيقة، فعندما كنت مدرسًا صغيرًا، تمت دعوتنا لوضع برنامج إنشاء كلية البنات الإسلامية، وكان معنا الأستاذ الشيخ شلتوت فسأله أحد الحضور لقد قرأت في كتاب الناسخ والمنسوخ إن آية السيف في القرآن نسخت عشرين آية، وقبل أن يكمل السؤال قال له الأستاذ الشيخ شلتوت خذ مني ولا تسأل أحدا بعدي هذا ليس مما يقبل النسخ، فلقد قال تعالى في القرآن الكريم "لا إكراه في الدين" فلا حديث لأحد بعدها.

ومؤسسة دار التقريب هذه تعالج قضية السنة والشيعة وتصدر مجلدات في هذا الموضوع وأنا شخصيا أقتني تسعة عشر مجلدا من إصداراتها.

وحاليا المسئول عن هذا الموضوع في إيران عالم جليل ومحل ثقة اسمه (آية الله محمد واعظ الخراساني) وللعلم إن القائمين على مذهب الشيعة كان منهم العقلاء، ومنهم غير ذلك، فمثلا كانوا قديما في موسم عاشوراء يأتون بتماثيل على هيئة الشيخين (أبو بكر وعمر) ويقومون بحرقها، ولكن هذه العادة كانت قديما وأوشكت أن تنقرض تماما. وللعلم، إن الوجدان الشيعي تكون بعد موقعة "كربلاء" حيث جرت مأساة مقتل الحسين ومصارع آل البيت، ولذلك نشأت الشيعة بعدها وليس بعد مقتل علي ابن أبي طالب. إن مذهب الشيعة يقول إن الإمام ركن خامس في الإسلام، وأن أول الأئمة علي بن أبي طالب الذي أوصى للحسن ثم للحسين ثم للإمام علي زين العابدين إلى أن وصلنا إلى محمد بن الحسن العسكري الذي يقولون إنه اختفى في سامراء، وإنه اختفى في السرداب، وإنه يعود آخر الزمان يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، وهو المعروف لدينا بالإمام المهدي وإلى عصرنا هذا يقولون عنه "الإمام المهدي عجل الله خروجه".

هناك كتاب صغير جدا اسمه (أصل الشيعة وأصولها)، ولقد استفدت منه كثيرا. ولكن من يريد القراءة عن الشيعة فليقرأ في كتاب (الأصول) للكافي. فإن عقلاء الشيعة عقلاء والتقريب قائم على قدم وساق، إن الإمام الخوميني – أيا كان الرأي فيه سياسيًّا – له أفضال في تعديل آراء الشيعة في مسألة الإمامة ومسألة ولاية الفقيه.

إن الحوار دائر والتقريب قائم على قدم وساق خصوصا إذا ترتبت عليه نتائج استراتيجية ضخمة لأن إيران قوة مقبلة ويوجد لدينا في العالم العربي الإسلامي قوى مدبرة، والمشترك موجود والتعاون ممكن، إن العراق وإيران لهما قوة استراتيجية مؤثرة، ونسأل الله أن يتم هذا لنا العرب والمسلمين ومصر بصفة خاصة وهذا أمر يطول.

والتقريب قائم والعقلاء يقودون المسيرة إلى حد كبـــير أما المجانين على الجانبين فيملأون الدنيا جهلا أو طيشا أو تعصبا وأظن أن دورهم ينكمش نسبيا.

مارك ملالي:

أشعر أن العرب لا يريدون الحوار يريدون فقط الزخرفة اللفظية يرفضون تلك القناة التي تبثها إسرائيل باللغة العربية ويتهمونها أنها تريد التلاعب بعقول العرب. ويرفضون تلك القناة التي تبثها أمريكا للعالم العربي ويتهمونها أنها تريد (أمركة) العقول العربية ويرفضون الحوار مع اليهود – مثل رفض زيارة علي سالم إلى إسرائيل ويتهمون المجموعة التي تحاورت مع اليهود في كوبنهاجن بأنهم خونة.

أحمد كمال أبو المجد:

نحن لا نطلق لفظ الخيانة على أحد بهذه البساطة إنما نُخَطِّئ وهذا من حقنا، ووجهة نظري في القناة الأمريكية مثلها مثل محطة أمريكا الحرة في زمان سابق ومحطة برلين ومحطة باري الإيطالية، فكل هذه المحطات جزء من تخطيط ولا تسمى مؤامرة فهو تخطيط خادم للذين ينشئونها ولمصالحهم، فلا أتصور أن أمريكا تنشئ محطة هنا لتثقيف العرب تثقيفا مستقلا، ولا أن إسرائيل تعمل شيئا، ومن هذا القبيل، نحن لا نمنع الحوار ولأنني أعرف أن إسرائيل بها من يريدون السلام، ولكن أمريكا اليوم مختطفة من قبل مجموعة من اليمين المتطرف المغسول الدماغ بتأثيرات صهيونية استولوا على البيت الأبيض. وعلى سبيل المثال الدكتور كلوفيس مقصود قال إن لديه صدمة لأنه قضى أربعين عاما من عمره في محاولة منه لتقليل الأثر السلبي للدعاية الصهيونية داخل أمريكا، وفجأة وجد أن الذي كان لوبي بالأمس هو الذي يحكم أمريكا الآن.

وحدث صدام كلامي بيني وبين مساعد وزير الدفاع الأمريكي (استقال أخيرا) هنا في منزل السفير الأمريكي وحضور سفيرين مصريين وعضوين من أعضاء الكونجرس الأمريكي في إحدى الاجتماعات فقلت له لابد من الحياد الأمريكي في الصراع العربي الإسرائيلي، وأن يدعو الأكاديميين أن يضعوا كتابا عنوانه (مخاطر أن تكون القوة العظمى الوحيدة) فأنتم شركاء في كل نزاع إقليمي، وقلت إن لدينا في القانون لا يكفي أن تكون عادلا ومنصفا ولكن ينبغي أن ترى عادلا ومنصفا.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وعندما ذكرت كلمة الحياد في الصراع العربي الإسرائيلي نظر إليّ وقال إن الإسرائيليين أصدقاؤنا، وأنتم تقتلون أصدقاءنا، فنظرت إليه وقلت نحن لا نقتل أحدًا لاعتبارات ثلاثة:

أولا – لأن هناك معاهدة بيننا وبين إسرائيل.
ثانيا – نحن العرب كنا نفهم أننا أصدقاء أمريكا ولكنك اليوم تقول غير ذلك.
ثالثا – انتابني على غير العادة انفعال وغضب فقلت أنا أشتغل بالعلاقات الدولية قبل ميلادك وقد يكون مفيدا لك أن تستمع إليّ وبعد ذلك اقبل كلامي أو ارفضه كله، وأضفت أنني أعتقد أن أمريكا فقدت كل الصلاحيات لأداء أي دور فعال في أزمة الشرق الأوسط، وما تمر به أمريكا الآن هو محنة أمريكية، وما تقوم به إدارة بوش مخالفاً لمبادئ الاستقلال والدستور الأمريكي، ومخالفًا لكل ما أعلنه رؤساء أمريكا من المبادئ، نحن نريد السلام والعدل، ومادمنا نريد ذلك فلا يتفق العدل والعنف، وبالتالي نحن نرفض العنف لأننا نريد العدل.

أنا اجتمعت في نيويورك وشيكاغو بمجموعة من اليهود اثني عشر واحداً يرون أن إسرائيل خطر على اليهودية العالمية، وجرى حوار مع برنارد لويس أكبر مستشرق يعرف شئون الشرق الأوسط وله كتابات غزيرة ودقيقة وموثقة، وبعضها يكشف عن تحامل على الإسلام والمسيحية وانحيازا إلى وجهة النظر الإسرائيلية المتطرفة، وقلت له ما أفزعه عن مستقبل يهود العالم وأنهم سيتعرضون يوما ما لحملات عنف نكره أن نراها تحل بأبناء عمومتنا اليهود.

وعلى الرغم من أن شارون يدعى أنه سيحقق الأمن عن طريق تكسير عظام الفلسطينيين، وأقول إن الأمريكان أحسن شعب مستمع وإن النظام الأمريكي فيه ميزة نادرة وهي القدرة على تصحيح الأخطاء، ولكن بعد وقوع مضار كثيرة.

ولا ننسى العدوان والجدار العازل والاعتداءات على الشعب الفلسطيني ولا ننتظر أن يكون المزاج العربي هادئًا، وإذا قال قائل إن العمليات الانتحارية هذه أسلوب لا يجدي كان الجواب أن علم الإحصاء يؤكد أن الناس عاشوا في أمن عندما كان هناك سلام.

ما الذي يجعل طالبة في ريعان الشباب وهي ذاهبة للامتحان تقدم على تفجير نفسها لتقتل أو تصيب إسرائيليا؟ هذه حالة اليأس المطلق التي وصل إليها الشعب الفلسطيني، وقد أدرنا حوارا مع اليهود في شيكاغو وأكد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

لي شيمون بيريز في حوار عام حضره أكثر من ألف شخص وكان متحدثاً بعدي، ووافقني على كل ما قلته وأكد على أن هذا الصراع لا يُحسم عسكريًّا، وقال عن ثقافة السلام كلاما جميلا.

متحدث لم يذكر اسمه:

إن الأنظمة العربية هياكل تعتمد على الشكليات بلا بنية تشريعية أو قضائية ويضرب الكاتب الدكتور نادر فرجاني المثل بالمحكمة الأوروبية التي يلجأ إليها أي مواطن في حالة وقوع ضرر عليه ويشكو حكومته، إن الإصلاحات التي تدعو لها الدول العربية بخصوص الجامعة العربية هي لحماية النظام الواحد من باقي الأنظمة، فكيف يستطيع المواطن أن يبحث له عن حقوق؟

أحمد كمال أبو المجد:

ويحدث ذلك في الوقت الذي تقدم فيه أمريكا مبادرة الشرق الأوسط الكبـــير متخذة من قضايانا ثلاثة محاور للإصلاح:

(١) المجتمع المعرفي (٢) تمكين المرأة (٣) حقوق الإنسان

فأين الحكومات العربية من حقوق الإنسان؟ ولكني أريد أن أكون منصفا للمجتمعات العربية مؤكدا أن الدعوة لهذه الأمور هي دعوة عربية وليست أمريكية لأن هناك أحزابًا وكُتَّابًا تناولوا هذه القضية ومنهم من لا يزال إلى الآن في السجن.

وأنا أقول إن الأنظمة العربية ليست مدركة على نحو كاف أن هناك تغيرات خطيرة حدثت وإن ما كان في الماضي من أساليب في الحكم والسياسة وإدارة المجتمع لم يعد يفيد، وبعض الأنظمة متورطة في تركيبات ثقافية وسياسية، وبعضها خاضع لضغوط أمريكية ليست حكيمة. ولقد كنت مع السفير الأمريكي في بيته قبل غزو العراق وكان معنا مساعد وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الوقت فسألني بدون مناسبة تُرى لو ضربنا العراق ماذا يحدث؟ فقلت له من الصعب أن أقول لك ما سيحدث بالضبط، ولكنني أقطع بأنها لن تكون مثل غزو العراق للكويت، كما لا يجوز قياسها على أفغانستان لأن أفغانستان غير العراق، فالعراق صيغة معقدة، فقال لي بكل ثقة ماذا يحدث؟ مظاهرات في العالم الإسلامي ضد الغزو لمدة أربعة أو ستة أسابيع ثم يرحبون بأننا خلصناهم من حاكم طاغية ...

ولذلك يجب على الأمة أن تقرأ وأن تتابع كل ما يحدث، ولكن للأسف لا نقرأ كما ينبغي ولا نمد أيدينا وعقولنا إلى طوفان المعلومات التي تصل إلينا في سهولة ويسر عبر القنوات التي فتحتها لنا ثورة علوم الاتصال، نحن

لدينا كتاب "بوب وورد" الذي يحكي لنا ما حدث في الاجتماع المغلق في البيت الأبيض يوم ١٢ سبتمبر، فلقد دخل الرئيس جورج بوش وقال أريد عمل دراماتيكي هائل، فرد أحد الحضور وقال نضرب العراق، قال بوش ولكننا قلنا تنظيم القاعدة وليس لدينا دليل على أن القاعدة مرتبطة بالعراق، فقال آخر نضرب العراق لأن طبيعة العراق ليست جبلية مثل أفغانستان وغزوها ممكن doable، وقالت واحدة نضرب إيران، وأظن أن أحدهم قال إن الدنيا ستقوم علينا. وقد يكون من المفيد أن أذكر أنني حضرت مع كلينتون الرئيس السابق لأمريكا في مؤسسة أنشأها باسمه بعد انتهاء فترة رئاسته وقال "نحن الأمريكان قوة عظمى في العالم ولكن يجب أن يكون لدينا بُعد نظر"، إن هذا الوضع لن يدوم إلى الأبد ولابد أن نستعد لما سيحدث بعد ذلك.